

الفصل الرابع

مخبأ سري

انتظر دانكن مع الفتاتين وديفيد لدقيقة، لكنه قرر بعد ذلك أنه ينبغي له المساعدة في البحث عن المرشد الغائب، ماجوا.

قال دانكن: «كورا وأليس، ستكونان بأمان هنا مع ديفيد. سأذهب للعثور على هوكاي وأرى ما يحدث.»

قالت أليس: «يا إلهي، هل تظن حقاً أن ماجوا تخلى عنا؟»
أجاب دانكن: «كل شيء سيكون على ما يرام يا عزيزتي. تعلمين أنني لن أسمح بوقوع مكروه لك أو لشقيقتك.»
ابتسمت أليس، وقالت كورا: «سنكون بخير. نحن قويتان، فنحن ابنتا مونرو! حظاً سعيداً!»

لم يسر دانكن بحصانه سوى مئة ياردة حتى وجد هوكاي وتشنجاتشجوك وأنكس. كان ثلاثتهم واقفين يتباحثون في أمر ما.

سألهم دانكن: «ماذا حدث؟»

أجابه هوكاي: «لقد فر منا.»

قال دانكن: «حسناً، لنذهب! يمكننا أن نعثر عليه. نحن أربعة وهو واحد.»
قال هوكاي: «أجل، لكن من السهل أن يستدعي الآخرين ليحاربوا معه. علينا أن نتحرك كي لا يعثر علينا بسهولة.»

نظر دانكن لأعلى ورأى السحب تنجلي، وبدأ الليل يرخي سدوله. أراد دانكن أن يجذب انتباه هوكاي، لكن هوكاي كان يتحدث مع تشنجاتشجوك وأنكس بلغة الديلاوير؛ لغة شعبهم. بدأ الرجال الثلاثة في الابتعاد.

قال دانكن: «انتظروا! أين ستذهبون؟»

توقف الرجال وتحدثوا بعضهم مع بعض مرة أخرى. وبعد بضع دقائق استدار هوكاي إلى دانكن وقال له: «أنكس على حق، لا يمكننا أن نترك تائهاً في الغابة تحت رحمة مرشدك.»

قال دانكن: «لقد أخبرتكم بالفعل أننا سندفع لكم ما تريدون.»

نظر هوكاي إليه وقال: «نحن لا نريد مالك، سنساعدك لأن هذا ما ينبغي فعله. لكن عليك أن تعدنا بشيئين.»

قال دانكن: «أجل، بالطبع.»

قال هوكاي: «أولاً: عليك أن تكون صامتاً كالحجر ولا تتدخل فيما يحدث. ثانياً: عليك أن تحفظ سر المكان الذي سنأخذك إليه.»
أوماً دانكن برأسه موافقة وقال: «حسناً، لنذهب؛ لم يبق أمامنا متسع كبير من الوقت قبل أن تغرب الشمس تماماً.»

عاد الرجال الأربعة إلى المكان الذي ينتظر فيه ديفيد وأليس وكورا. أخبرهم دانكن سريعاً ما حدث للمرشد ماجوا، ثم ساعد الفتاتين على النزول من فوق الحصان. شرح لهما أن ماجوا خانهم وأنه قد يحاول إلحاق الأذى بهم، وأن عليهم الذهاب مع هؤلاء الرجال؛ أنكس وتشينجاتشجوك وهوكاي.

وثقت كورا وأليس في رأي دانكن ومضتا معه، وتبعهم ديفيد. وقابلوا هوكاي وأنكس وتشينجاتشجوك بجانب حافة النهر.

قال هوكاي: «علينا إطلاق سراح الخيول؛ فإذا رآها ماجوا ورجاله تأكل الأعشاب عند ضفاف النهر سيفترضون أنك نصبت مخيماً بالقرب منها. فرصتنا الوحيدة للهرب هي السير على الأقدام.»

قبضت الفتاتان إحدهما على يد الأخرى لإخفاء شعورهما بالخوف، في حين تفحص دانكن المنطقة المحيطة بعناية. وخلق هوكاي ألجمة الخيول وأطلق سراحها. ثم بدأ يسير مبتعداً، وتبعته المجموعة الصغيرة.

وبعد أن قطعوا مسافة قصيرة من الوادي الصغير المنعزل ساروا أسفل شلال وخرجوا من الجهة الأخرى. وكشف هوكاي الغطاء عن زورقين مختفيين وسط الشجيرات، وأشار إلى كورا وأليس لتركبا أحدهما، وانضم إليهما. وركب دانكن وديفيد وتشينجاتشجوك وأنكس في الزورق الآخر. وأثناء تجديفهم، أصغى هوكاي لكل صوت يصدر من الغابة.

مخبأ سري

بدأ جريان المياه يتسارع، وخافت أليس وكورا أن تصطدما بالصخور، لكن هوكاي وتشينجاتشجوك وأنكس كانوا بارعين في التجديف. وسرعان ما وصلت المجموعة إلى جزء صخري من النهر وأوقف هوكاي الزورق.

قال هوكاي للمسافرين: «انتظروا هنا، سنذهب لتأكد أننا في أمان.»

ترك هوكاي وتشينجاتشجوك وأنكس باقي الأفراد فوق الصخور. ولم يمر وقت طويل قبل أن يعودوا.

قال هوكاي: «هلموا الآن.» ثم خبأ الزورقين تحت بعض الشجيرات، واختفى بين الصخور.